استراتيجيات الخطاب الشعري – قراءة في همزية ابن الرومي

أ.م. اميرة محمود عبد الله

كلية الاداب / جامعة بابل

The strategies of poetic discourse reading in Hamziyah Ibn al-Roumi

Assistant Professor
Ameera Mahmood Abdullah
University of Babylon /COllege OF Literature
Saa_Sha2010@yahoo.com

Abstract

The idea of studying Ibn al-Roumi's poem (Hamziyyah)، which abhors his friend Aba Al-Qasim Al-Tozi، is intended to stand on the basis of modern trends in the study of literary texts and the use of some modern concepts and tools that belong to various fields of knowledge. The most important strategies used by the poet in the construction of his poem. It was necessary to prepare a theoretical approach to the concepts of discourse and strategy، and from the outset begins the search for the detection of strategies that included Hamzia Ibn Roumi.

Keywords: strategies، discourse، Ibn al-Roumi، Hamzith

الملخص

انطلاقاً من التوجهات الحديثة في دراسة النصوص الأدبية والإفادة من بعض المفاهيم والادوات الحديثة، والتي تنتمي الى حقول معرفية متعددة، ومن بين تلك المفاهيم مفهوم استراتيجيات الخطاب، جاءت فكرة دراسة قصيدة ابن الرومي (الهمزية) التي يعاتب فيها صديقه أبا القاسم التوزيَ، ولغرض الوقوف على أهم تلك الاستراتيجيات التي استعملها الشاعر في بناء قصيدته، لابد من تمهيد نظري لمفهومي الخطاب والاستراتيجية، ومن التمهيد ينطلق البحث للكشف عن الاستراتيجيات التي اشتملت عليها همزية ابن الرومي.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات، الخطاب، ابن الرومي، همزيته.

الجانب التنظيري

مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة: من خطب، يقال: خاطبه خطابا، وهو الكلام بين اثنين[١]. وفي اللسان "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[٢]. والخطاب المواجهة بالكلام[٣]. فالخطاب إذن عملية تبادل بين طرفين[٤].

الخطاب اصطلاحاً:

لقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بمعنى الكلام في قوله تعالى: ((واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما))[٥]. وورد أيضا في الثقافة العربية عند الأصوليين بذكر اسم الفاعل (مخاطب) واسم المفعول (مخاطَب) بوصفهما طرفي الخطاب في بحوثهم لمعرفة الأحكام الشرعية[٦]. وعرف الآمدي الخطاب بأنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[٧]. فالخطاب بهذا المعنى ((دائرة كلامية منجزة بين طرفين: يدعى أحدهما (المخاطِب) والثاني (المخاطَب)، والتفاعل اللغوي بينهما آيل الى إنشاء الخطاب))[٨].

اما الخطاب في الثقافة الغربية، فإنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية في إنتاجه، وهو بذلك لايكون موضوع تناول لساني صرف، بل هو فضلاً عن ذلك يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة [٩]. وقد عرفه هاريس بأنه "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلها تظل في مجال لساني محض"[١٠]. والخطاب عند بنفينيست هو "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما "[١١]،

وبذلك يكون تعريف بنفينيست للخطاب أكثر شمولا من تعريف هاريس، إذ اقتصر هاريس في تعريفه على الملفوظ بوصفه بنية لنظام من الجمل المتتالية، في حين انفتح تعريف بنفينيست على الإيجاز القولي والفعلي للخطاب وما يتعلق بهما، وكذلك طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطَب) والمقصد من الاتصال، والأدوات المستعملة في التأثير، وهذا يعني ان الخطاب هو اللغة في حالة فعل، او بوصفه اللغة بين شركاء التواصل[١٢]. وبهذا يحمل الخطاب ((معنى الكلام أو الرسالة التي تدار بين المخاطِب والمخاطَب، يشتركان بعناصر لايمكن الفصل بينهما {...} ولهذا يمكن أن يعد الكلام وسيلة الخطاب الأولى للآخر من أجل الإفهام وتجنب الغموض وإيصال رسالة واضحة "[١٣].

ويطلق مصطلح الخطاب على أحد المفهومين[١٤]:

الأول: إنه ذلك الملفوظ الموجّه الى الغير بإفهامه قصدا معينا.

الثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

ويعرف الخطاب بغض النظر عن رتبته بحسب تصنيف النحويين – أي بوصفه جملة أو أكثر– " لأن الملفوظ منظور اليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هوعملية التلفظ"[١٥] ولذلك فلابد أن تكون للخطاب بنية "بوصفها النسق أو المنوال الذي تنسج خلاله النصوص، وهذا يقتضي أن تكون بنية النص بنية سطحية أو فوقية، أما بنية الخطاب فتكون بنية عميقة أو بنية تحتية لكل نص منجز"[١٦].

ويحيل الخطاب – بوصفه نظاما لسلوك اجتماعي وتواصلي – على عناصر السياق الخارجية في انتاجه وتشكيله اللغوي، وكذلك في تأويله، الامر الذي يقتضي معرفة شروط إنتاجه وظروفه، وعلى وفق ذلك يكون الخطاب " كل منطوق به موجه الى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"[١٧]. وبناء على ذلك فلابد من عناصر سياقية للخطاب، هي: المرسل، والمرسل اليه، والعناصر المشتركة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة والظروف الاجتماعية العامة[١٨].

ومن خلال هذه العناصر السياقية للخطاب فإنه ينماز عن النص، فالنص ((نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص))[١٩].

واذا كان الخطاب مؤسّساً على وفق هذه العناصر، فقد يتنوع السياق وينعكس هذا التنوع على إنتاج الخطاب، وبذلك يعمد المتكلم الى أن ينتج خطابه على وفق استراتيجية معينة. وهذا يعني أن مفهوم استراتيجية الخطاب يتألف من مصطلحين هما: مصطلح الاستراتيجية ومصطلح الخطاب[٢٠].

مفهوم الاستراتيجية:

وهي الطريقة المحددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة ما، أو هي مجموعة العمليات التي تهدف الى بلوغ غاية معينة، أي أنها خطة تعد لغرض الوصول الى الهدف المنشود، ومن ثم، تصبح الاستراتيجية عملا عقليا مبنيا على افتراضات مسبقة، تتجسد من خلال أدوات أو وسائل تناسب سياق استعمالها[٢١]. وعليه يجب أن ينظر الى "الاستراتيجية في إطار مفهوم الخطاب ببعديه: القصد والسياق، فإن الاستراتيجية من هذا المنظور تعد كل مكون من مكونات الخطاب يساهم في تحقيق القصد من الخطاب في السياق التواصلي. وهذا يطرح فكرة التنوع والتعدد في الاستراتيجيات الخطابية"[٢٢]. فالمتكلمون يعمدون الى استعمال اللغة بكيفيات منظمة ومتناسقة تتناسب مع مقتضيات السياق "ويتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب، فيما يسمى باستراتيجية الخطاب. وهذا يعني ان الخطاب المنجز يكون خطاباً مخططاً له بصفة مستمرة وشعورية، ومن هنا يتحتم على المرسل أن يختار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبر عن قصده وتحقيق هدفه كأفضل حالة"[٢٣]. ومن ابرز الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلمون في خطاباتهم:

اولا: الاستراتيجية التوضيحية[٢٤]: وتسمى بالاستراتيجية الإخبارية، فالإخبار لايعدو ان يكون احدى غايات التوضيح، ومن متطلبات التوضيح رغبة المتكلم في ان يكون كلامه محيطا وشاملا لتوضيح أمر ما.

ثانيا: الاستراتيجية التلميحية[٢٥]: وهي أكثر الاستراتيجيات علاقة بالخطاب الأدبي، وهي اسلوب غير مباشر في التعبير عن المقاصد لدى المتكلم، لذلك فإن القول ليس هو دائما القول تصريحا، فالنشاط الخطابي يشابك بين المعقول وغير المعقول، ولذلك يصبح التلميح في بعض السياقات التواصلية افضل وسيلة لأداء مقاصد المتكلم[٢٦].

ثالثا: الاستراتيجية التوجيهية[٢٧]: وتعنى هذه الاستراتيجية باستعمال الأفعال التي تتدرج تحت ما يسمى بالتوجيهات[٢٨]، في خطابات النصح والتحذير لغرض توجيه المخاطب لمصلحته بالنفع من جهة، ودفع الضرر من جهة أخرى، من حيث أن التوجيه إقناع يأتي بصور متعددة منها السؤال والأمر والنهي وغير ذلك.

رابعا: الاستراتيجية الإقناعية[٢٩]: وهي الاستراتيجية التي يهدف المتكلم من خلالها إقناع المخاطب بما يراه، أي (إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي) لديه. وينبني الإقناع على افتراضات مسبقة بشأن عناصر السياق ولاسيما المخاطَب والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة. وتستعمل هذه الاستراتيجية من أجل تحقيق أهداف المتكلم النفعية في الإقناع، ومن ثم، التأثير في المخاطب[٣٠].

بعد هذا العرض المبسط لمفهوم الاستراتيجية وانواعها، يقفز الى الذهن سؤال غاية في الأهمية يختص بالمتن الاجرائي للبحث، والسؤال هو، الى اي مدى يمكن ان تتحقق هذه الاستراتيجيات في العمل الادبي؟ وهل تتحقق في جميع الانواع الادبية؟ وللإجابة على هذا السؤال، يمكن القول ان هذه الاستراتيجيات يمكن ان تتحقق في الاعمال الادبية الشعرية والنثرية على حدٍ سواء إذا ما توافرت عناصر سياقية خارجية في العمل الادبي كالمتكلم والمخاطب والظروف الخارجية المحيطة بإنتاج ذلك العمل، بمعنى أن الاعمال الادبية التي يمكن ان تتحقق فيها هذه الاستراتيجيات الخطابية تمتلك خصوصية نابعة من العمل الادبي نفسه. وإذا ما خصصنا السؤال المطروح في الشعر، فإن الإجابة ستكون نابعة من الخطاب الشعري نفسه، اي متى ما توافر السياق الخارجي فيه (المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة) فضلاً عن عوامل نفسية واجتماعية وثقافية معينة أمكن تحقق تلك الاستراتيجيات، وهذا ما نلحظه في همزية ابن الرومي التي يعاتب فيها صديقه أبا القاسم التوزيّ الشطرنجي التي توافرت فيها العناصر السياقية فضلاً عن خصوصيتها لدى الشاعر نفسه، إذ ثمة توجهات نفسية واجتماعية وثقافية كانت وراء تحقق هذه الاستراتيجيات وتشكّلها على نحو بيّن، وهذا ما سيكشف عنه البحث في الجانب التحليلي.

الجانب التحليلي لاستراتيجيات الخطاب الشعري في همزية ابن الرومي

تندرج همزية ابن الرومي التي يعاتب فيها صديقه أبا القاسم التوزيّ الشطرنجي تحت أغراض متنوعة، فتراه يرقُ ويعذب، ويسخط ويرضى، ويمدح ويهجو، ومع ذلك فالقصيدة ليست مدحا ولا هجاء، وليست بالسخط ولا بالرضى، ولكنها من كل هذه الأشياء[٣١]. وهكذا جاءت القصيدة شاملة لكل هذه المعاني في مائة وتسعة وأربعين بيتا، ولعل طول النفس الشعري لدى ابن الرومي واستعمالهُ استراتيجيات خطابيةٍ متنوعة كانت وراء ذلك، اذ ان الحالة النفسية التي نجدها عند ابن الرومي لها اسباب ومؤثرات جعلت شعره صورة صادقة لحياته ومشاعره، منها عوامل بيئية واخرى عائدة الى العصر الذي يعيشه بما فيه من مناسبات واحداث.

لقد قال الشاعر قصيدته في عتاب صديقهِ أبي القاسم التوزيّ بعد أن حصل بينهما خلاف فاستهلها بذكر هفوات صديقهِ التي كشفتها حاجته في الأبيات من (١ – ٤)، ثم عقد حوارا مع تلك الهنات بعد أن أَلبسها ثوب النساء[٣٢]. في الأبيات من (٦ – ٢٣) ليدلف من بعد الحوار الى عتاب مفصّل لصديقهِ سمته اللّين في الأبيات من (٢٤ – ٢٨)، ثم يتحوّل العتاب الى تأنيب وتقريع وتوبيخ في الأبيات من (٢٩ – ٤١)، وينتقل من بعد ذلك الى المدح في الأبيات من (٤٢ – ٦٩)، ليعود مرة أخرى الى التعنيف في الأبيات من (٧٠ – ١٢٨)، لينتهي بعد هذا التعنيف الى عرض القضية على القاضي أبي بكر شقيق أبي القاسم ليحكم بينهما في الأبيات من (١٢٩ – ١٣٧)، ومن ثم يختم قصيدتهُ بِحكم ومواعظ في الأبيات من (١٣٨ – ١٤٩). وبعد هذا العرض التفصيلي لبنية القصيدة سنحاول الكشف عن الاستراتيجيات الخطابية التي استثمرها ابن الرومي في هذا البناء.

أولا: الاستراتيجية التوضيحية:

ويدخل التوضيح في سياق الحوارات التي ((يحاول المرسل أن يجسّد بِها درجة علاقته بالمرسل اليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أَو تطويرها بإزالة معالم الفوارق بينهما {...} واجمالاً هي محاولة التقرب من المرسَل اليه وتقريبه))[٣٣]، ولان الوضوح من مرتكزات البيان، فقد شكّل الأساس الذي بنى عليه ابن الرومي قصيدته هذه لذلك وجدناهُ يفتتح القصيدة بتوضيح نوع العلاقة التي تربطهُ بأبي القاسم من خلال أسئلة تقريرية يطرحها، تؤكد أنها علاقة إخاء ومودة دائمة، ينعمان بها بِصفاء ونقاء، فيقول[٣٤]:

يـاأخـي أين ريـع ذاك اللـقـاء ؟ أَين مـاكـان بيـننـا من صفـاء ؟
أين مصداق شاهد كان يحكي: أنك المخلص الصحيح الإخاء ؟

فالبيتان يوضحان نوع العلاقة ومدى عمقها بعتاب يتشح بالمرارة، لأن صديقه لم يلتزم معه في دوام عهد المحبة، فيسأله مستفهماً ومستغرباً عن سبب تغيره[٣٥]. لأن الاستفهام بوصفهِ أحد متطلبات التوضيح، استفهام عن الأسباب بالدرجة الأولى ليغدو نوعاً من الشرح[٣٦]، والذي يمكن ملاحظته في هذا العتاب أنه محتدم من خلال استعماله لفظة (أين) في البيتين.

وقد اتخذ الشاعر من هذه الأسئلة منطلقاً لكشف وتشخيص هنات صديقهِ وهفواته وعيوبهِ، وبث الحياة فيها ليجري معها حواراً يقوم على الأسئلة والأجوبة في إطار من المداعبة والغمز[٣٧]، فيقول[٣٨]:

كشفت منك حاجتي هنواتٍ غُطيت برهةً بحُسن اللّقاءِ
تركتني ولم أكن سيء الظن نِ أُسيء الظنون بالأصدقاءِ

وهذه العيوب التي كشفتها حاجة الشاعر عند صديقهِ هي التي سيشخصها وَيقيم معها حواراً بعد أن يسبغ عليها ثوب النساء[٣٩]، ويرمي باللائمة عليهنّ لكشفهن ما استتر من طباع صديقه وعيوبه[٤٠] فيقول[٤١]:

قلت لما بدت لعيني شُنعا رُبّ شوهاء في حشا حسناء
ليتني ماهتكت عنكن سترا فثويتُنّ تحت ذاك الغطاء
قلن: لولا انكشافنا ماتجلّت عنك ظلماء شُبهة قتماء
قلت أعجِب بكُنّ من كاسفات كاشفات غواشي الظلماء

.....

قلن: أعجِب بمهتد يتمنّى أنه لم يزل على عمياء
كنت في شبهة فزالتِ بنا عنـ ك فأوسعتنا من الإزراء

.....

قلت: تالله ليس مثلي مَن وَد دَ ضلالاً، وحيرة باهتداء
غير أني وددت ستر صديقي بدلاً باستفادة الأنباء
قلن: هذا هوى فعرّج على الحق ق وخلّ الهوى لقلبٍ هواء

.....

دونك الكشف والعتاب فقوّم بِهما كلّ خلّة عوجاء
قلت: في ذاك موتكن وما المو ت بمستعذب لدى الأَحياء
قلن: ما الموت بالكريه إذ كا ن بحقّ فلا تزد في المراء

إنّ هذا الحوار الذي تفرّد بهِ ابن الرومي[٤٢] كان أسلوباً استثمرهُ لغاية التوضيح والإخبار لغرض إقناع صديقه بتلك الهنات والعيوب. إذ نلاحظ ((تدرجاً واضحاً في أسلوب الحوار في بدايتهِ، ثم يتطور في وسطه كلمّا تطورت العقدة، أو تعقدت الأحداث، من

خلال الجدل القائم بين الأطراف المتحاورة))[٤٣]. فبدأ الشاعر بأمنية مفادها عدم الكشف عن عيوب صديقهِ، لكي يبقين مختبئات، لتبقى صورة صديقهِ حسنة، ثم يأتي جواب العيوب بغضب وانفعال ليكشف للشاعر السحابة المظلمة التي كانت تغشى عينيه إلا أنّ الشاعر لم يقتنع بقولهنّ، فهو ما يزال يحتفظ بمودتهِ تجاه صديقه فتتعجب العيوب فتحاوره بجرأة أكبر لاقناعه بجميل فعلهنّ معهُ، فيتحول بأسلوب حواره مُعلناً رغبتهُ في عدم فضح صديقه، ثم تتوجّه العيوب بالحكم والمواعظ والنصائح لكي يفيد منها الشاعر، وبدلاً من أن يفيد منها نراهُ يدعو عليهن بالموت رغبة منهُ في التمسك بصديقهِ، فيأتي ردّ العيوب بعدم كراهتها للموت اذا كان بحق وتطلب منهُ عدم المراء[٤٤]، ويذهب ايليا سليم الحاوي الى ان تلك الهنات والعيوب هي الوجه الاخر لنفسية ابن الرومي، وجه وساوسه وشؤمه الذي لا ينفك يعترض سلوك صديقه، فوجد ان تلك الهنات والعيوب ظهرت في سلوك ابي القاسم فجرد الفكرة العامة لها وتمثلت له بشخوص فأخذ يحاورها[٤٥]. وينتقل الشاعر بعد هذا الحوار الى عتاب صديقه بتفصيل سمته الليّن بسؤال[٤٦]:

أفلا كان منك ردٌّ جميل فيهِ للنفسِ راحة من عناء؟

ليقول لهُ: إنه لم يجب طلبهُ وإنهُ لم يسعَ الى قضاءِ حاجته في الوقت الذي كان بإمكانه أن يجيب جواباً ما ليطمئن إليه[٤٧]، ثم ينتقل الى نداء التأنيب والتقريع والتوبيخ في قولهُ[٤٨]:

نمت عنها، وما لمثلك عذر عند ذي نُهية على الإغفاء
قسماً لوسألت أخرى عوانا لتنمّرت لي مع الاعداء
لا أجازيك من غرورك إيا ي غروراً وقّيت سوء الجزاء

فهذه الأبيات فيها "شيء بين الرضا والسخط، بل هو سخط يلبسه صاحبه ثوب الرضا، هو شيء قريب من الهجاء، ولكنه ليس هجاء {...} فهو شديد على صاحبه، ولكنهُ على شدّتهِ هذه رقيق بالحديث، وهو يحس أنه لُم يبلغ من الشدة ما ينبغي"[٤٩]، وقد دأب ابن الرومي في هذه الأبيات على توضيح سبب هذا التأنيب والتقريع والتوبيخ ضمن استراتيجية التوضيح التي من شأنها أن تؤسس لعلاقة ودّية بينهما أو إعادة الحميمية التي كانت بينهما بعد أن تعرضت الى البرود[٥٠]. وكأن هذه الاستراتيجية معنية بالتعامل الأخلاقي ولكن دون إغفال الاهتمام بتبليغ القصد والتعبير عنهُ، وبهذا يثبت أن الاستراتيجية التوضيحية هي السبيل الى الصداقة، حيث تماثل ما يدعى بالألفة[٥١] وقد استثمر ابن الرومي أساليب عدة في هذه الاستراتيجية منها أسلوب الاستفهام وأسلوب النفي وأسلوب الأمر وأسلوب القسم، ما جعلهُ يفصل في توضيح هنات صديقه وعيوبهِ حتى غَدت مُتتاليات نصيّة يمكن أن تُوصف بالمتتاليات التوضيحية[٥٢].

وعلى هذا النحو يستمر ابن الرومي بتوضيح الجانب الايجابي عند صديقه فيمدحه في قوله[٥٣]:

ثاقب الرأي، نافذ الفكر فيها غير ذي فَترة و لا إبطاء

.....

تَهزُم الجمع أَوحداً، وتُلوي بـالصّناديد أيَّما إلواءِ
وتُحطّ الرخاخ بعد الفَرازيـ ـن فتزداد شدة استعلاءِ
رُبَّما هالني وحيّرعقلي أخذُكَ اللاعبين بالبأساءِ

ففي هذه الابيات وما بعدها الى البيت (٦٩) يمدح الشاعر براعة صديقه أبي القاسم في لعبة الشطرنج، وهي من اجمل ما قيل في هذه اللعبة، وقد استثمر ابن الرومي براعة صديقه فيها ليخفف عنه شدة التقريع والتأنيب ليرتضيه بطريقة يوضح فيها احب الاشياء اليه، فيصفه بالمهارة والذكاء الذي يجمع بين البراعة واستقامة الخلق[٥٤].

وما ان اطمأن ابن الرومي على انه حمل صاحبه على الارتياح عاد مرة اخرى ليوضح له بعتاب فيسأله عن عدم اعطاء الصداقة التي تربطهما حقها فلم يقض له حاجته[٥٥].

ثانياً: الاستراتيجية التوجيهية

وفي هذه الاستراتيجية يرغب المرسل بتقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهٍ لمصلحة المرسَل إليه، إذ إن اللغة ((تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجّهات المرسل إليه وسلوكه))[٥٦]. وسبب اختيار المرسل لهذه الاستراتيجية في رأي بعض الدارسين ((هي اصرار المرسل على تبليغ قصدهِ من وراء الخطاب {...} وكذا توجيه المرسَل إليه من خلال النصح والتحذير والارشاد، وهذه الأفعال لا تقتضي استعمال المرونة في الخطاب وأن يمارسَ فضولاً خطابياً عليهِ أو توجيههُ لمصلحتهِ بنفسهِ من جهة وابعاده عن الضرر من جهة أخرىُ))[٥٧]. وتتحقق الاستراتيجية التوجيهية من خلال الأفعال التقريرية أو الوصفية أو الإلزامية أو أفعال التعبير عن المشاعر[٥٨]. ومثل هذه الأفعال نجدها حاضرة في همزية ابن الرومي، من خلال اساليب عديدة منها: الاستفهام والنفي فمن الاستفهام في همزية ابن الرومي بعد عتاب يبدأهُ بأسلوب النداء فيقول[٥٩]:

يا أخي هبك لم تهب لي من سعـ يك حظاً كسائر البخـلاء

.....

أَجزاءُ الصديق إيطاؤه العشـ وة حتى يظل كالعشـواء
تاركاً سعيه اتكالاً على سعـ يك دون الصّحاب والشّفعاء
كالذي غرّه السراب بما خيـ يل حتى هراق مافي السقاء

فبعد أن وَبّخ الشاعر صديقه لعدم قضاء حاجته التي طلب منهُ أن يسعى إليها، ولعدم إجابته جواباً يطمئن إليه[٦٠]. راح يستفهم منه متعجباً أيكون جَزاءُ الصديق أن يترك في الليلة الظلماء كمن أصيب بالعشو الليلي وقد وكل حاجته إليه من دون الأصحاب والشفعاء، فيكون كمن يرى السراب ماءً. فالاستفهام بأداة الاستفهام (الهمزة) لا يستدعي جواباً بقدِر ما يستدعي تعديل السلوك وتوجيهه نحو الوفاء والإخلاص في ما طُلب منه، ولذلك يُصّنف شعر ابن الرومي ولاسيما في هذه القصيدة ضمن الشعر الذي يعبر عن الحياة اليومية العملية[٦١]، وفي ضمن التعنيف الشديد لأبي القاسم يورد ابن الرومي سؤالاً بأداة الاستفهام (الهمزة) في قوله[٦٢]:

أترى كلّ مـا ذكرتُ جليّا وسواهُ من غامض الأنحـاء؟
ثم يخفى عليكَ أني صديق ربّـما عـزّ مثلـهُ بالغـلاء
لا لـعمُر الالـه لكن تعاشيـ ت بصيـرا فـي ليلـة قمراء

فالشاعر يستفهم من صديقهِ كيف أنه يرى كل ما ذكر له من عيوب وهنات وأنه لا يرى صديقه ابن الرومي الذي عزّ مثلهُ من الأصدقاء. وبذلك قصد الشاعر توجيه انتباه صديقه أبي القاسم إليه، فالتوجيه هو الذي يتطلب الإخبار، إذ من أهم استعمالات التوجيه أسلوب الاستفهام[٦٣]، وهكذا امعن الشاعر في دراسة نفسية صديقه، فأخذ يتعجب من ذكائه الذي ينفذ الى اعماق حقيقة الحياة، لذلك وصفه بالتعامي فهو ليس اعمى، بل تعامى في ضحوة مما يدرك ويعرف فاستوفى غاية المعنى[٦٤]، ولهذا يعرض ابن الرومي قضيته على القاضي أبي بكر شقيق صديقه أبي القاسم فيسأله، قائلا[٦٥]:

هل ترى ما أتى أخوك أبو القا سم في حاجتي بعين ارتضاء؟

فقد اراد الشاعر ان يوجه القاضي من خلال هذا الاستفهام – وبطريقة مؤدبة – الى عيوب شقيقه أبي القاسم في عدم قضاء حاجته، وهو صاحب حقوق عليه فيدعوه لمطالبته بأداء تلك الحقوق، فيقول[٦٦]:

لي حقوقٌ عليه أصبح يلويـ ـها فَطالبِهُ لي بوشك الأداء

وأما صيغة النفي فقد توافرت في القصيدة بشكل لافت للنظر، وبأدوات النفي (ما، لا، ليس) بقصد توجيه المرسل إليه (أبي القاسم) وجهة معينة يرضاها ابن الرومي له، كقوله[٦٧]:

مـا بأمثال ما أتيت من الامـ رِ يحـلُّ فتـى ذرا العـليـاء

لا ولا يكسب المحامد في النا س، ولا يشتري جميل الثناء
ليس من حلّ بالمحلِ الذي أنـ تَ بهِ من سماحة أو وفاء

.....

ليس يرضى الصديق منك ببشرٍ تحت مخبورِهِ دفين جفاء

ففي هذه الأبيات المنفية انتقل الشاعر من العتاب الرقيق الى العنف والشدة في التأنيب والتقريع وكأنه يستل عصا التأديب فيتولاهُ بالارشاد والتحذير، فيقول لصديقهِ لا ينبغي لك أن تأتي بمثلِ ما أتيت من الأمر، وأن من يأتي بمثل ما أتيت لن يبلغ العلى ولن يكسب المحامد، وليس هكذا يفعل من يبلغ مرتبة السماحة، ولا يرضى الصديق أن تكون منافقاً تظهر الودّ والبشاشة وتضمر الجفاء والبخل. وبهذه المعاني التي نفاها الشاعر يقصد توجيه صديقه الى ما يخالفها ليكون محل الحمد والثناء في مكانة مرموقة. وقد استثمر ابن الرومي اسلوب النفي ليوغل في تقريع وتأنيب صديقه أبي القاسم في قوله[٦٨]:

لا الى الله يذهب الحائر البا ئر جهـلاً و لا الى السّرَاء
يَحسب الحظ كله في يديه وهو منه على مدى الجَوزاء
ليس في آجلِ النعَّيم له حظ ظٌ، وما ذاقَ عاجل النَّعماءِ

ومن خلال هذا النفي يوجه الشاعر صديقه الى عيوبه التي لا يراها بسبب من جهله او غروره ليتجاوزها ويتخلى عنها ليعود صديقا مستقيما كما عهده سابقا.

ومن استعمالات التوجيه استعمال صيغة النداء إذ يعد النداء آلية توجيهية لأنه يحمل المرسل اليه على اتخاذ ردة فعل تجاه المرسل[٦٩] وأدواته الأساسية (يا) النداء كقول ابن الرومي[٧٠]:

يا أبا القاسم الذي كنت أرجو هـ لدهري قَطَعت متن الرجاء

وقوله[٧١]:

يـا أخي يا أخا الدماثة والرقـ ـقة والظّرف والحجا والدهاء
أترى الضّربة التي هي غيبٌ خلف خمسين ضربةً في وحاء؟

وقوله[٧٢]:

يـا أبا القاسم الذي ليس يخفى عنـه مكنون خطة عوصاء
أترى كـل مـا ذكـرت جليـا وسواهُ من غامض الأنحاء

ففي الأبيات التي جاءت بصيغة النداء توجيه ونصح وإرشاد لصديقهِ أبي القاسم ليقوم بأفعال تصحح عيوبه وهناته، فقد خاطبه ابن الرومي منادياً إياه بـ (يا أخي، يا أخا) وبـ (يا أبا القاسم) لتوجيه ذهنه ولفت انتباهه الى أنه هو المقصود بالكلام وليس أحداً سواه، ولتوجيهه الى أمر تابع للنداء، ففي البيت الأول أراد الشاعر أن يلفت انتباه أبي القاسم الى أنه هو المقصود أولاً وثانياً توجيهه الى فعل قام به يُعد عيباً وهو قطع الرجاء بعد أن كان هو المرجو.

وفي البيتين الثاني والثالث لفت الشاعر انتباه صديقه الى أنه هو المقصود بالنداء وقد جعلهُ بمنزلة الأخ فناداه (يا أخي) ثم نعتهُ من خلال النداء بأنه أخ الدماثة والرقّة والظرف والحجا والدهاء، ثم بعد ذلك جاء بالتوجيه الأساس والمقصود أصلاً من الخطاب وهو توجيهه الى تصحيح فعل معيب وهو الغدر، إذ جاء التوجيه بأسلوب الاستفهام الإنكاري للضربة المجهولة التي جاءت بعد خمسين ضربة على عجل.

ومن أسلوب النداء أيضا قوله[٧٣]:

وأُناديك عائذا: يا أبا القا سم، أفديك، يا عزيز الفداء
قد قضينا لُبانةً من عتاب وجـميلٌ تَعـاتُـبُ الأكفـاء

ومـع العَتب والعتابِ فإنـى حاضر الصفح، واسع الإعفاء

ففي هذا النداء استعمال لفظة (أناديك) واستعمال حرف النداء (يا أبا القاسم) و (يا عزيز)، يوجه الشاعر انتباه المنادى (صديقه أبي القاسم) الى أنه هو المقصود بالنداء لتوجيه انتباهه لأمر هو أنه ما زال عزيزا يفتدى على الرغم من هناته، وقد تعاتبا وعتاب الاصدقاء جميل ومع ذلك فهو على استعداد للصفح عما بدا منه من تقصير بحقه وهو على استعداد للعفو أيضا.

لقد استعمل ابن الرومي اسلوب القسم لتوجيه صديقه وجهة تعود عليه بالنفع والفائدة، ومن ذلك قوله[٧٤]:

قلت: تالله ليس مثلي مَن ود د ضلالا وحيرة باهتداء

لقد أجاب الشاعر بالقسم على قول هنات صديقهِ أبي القاسم في الحوار الذي دار بينهُ وبيّنها بقسم (تالله) مشفوعاً بنفي اتّصافه بالضلال والحيرة في ذكر عيوب صديقه وهناته، اذ تضافر القسم مع النفي في توجيه ذهن أبي القاسم الى أن صديقه ابن الرومي كان محقاً ومتأكداً من تلك الهنات التي ذكرها[٧٥].

وفي قوله[٧٦]:

قسماً لو سألت آخرى عوانا لتنمرّت لي مع الأعداء

أقسم ابن الرومي بأنّ صديقه سيتنمّر عليه ويكون عدواً مع الأعداء لو طلب منه حاجة أخرى، لأنه قطع الأمل والرجاء حين لم يقض حاجتهُ في المرة الأولى. وما هذا القسم إلاّ لغاية توجيه ذهن أبي القاسم الى شنيع ما اقترفهُ بحقّ صديقه ابن الرومي اذا لم يقض حاجته.

وبعد أن بينّ ابن الرومي لصديقهِ التقصير بحقه أقسم بقوله[٧٧]:

لا لـعمرُ الإله لكن تـعاشيـ ت بصيراً في ليلة قمراء

إذ أراد أن يؤكد لأبي القاسم أنه لم يكن غافلاً عن صديقهِ وإنما تظاهر بذلك فهو كمن أصيب بالعشو الليلي فلا يرى في الليلة القمراء.

ثالثا: الاستراتيجية التلميحية

وهي الاستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصدهُ من طريق دالة غير مباشرة، ويحتاج المرسل اليه استعمال الاستدلال للوصول الى القصد الأصلي، أي هي الاستراتيجية التي تحتاج فيها الانتقال من المعنى الحرفي الى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناهُ العام[٧٨]. وتتحقق الاستراتيجية التلميحية بوساطة التشبيه والاستعارة والكناية[٧٩].

واذا كان التوضيح ((جزءاً من مفهوم البيان فإنّ التلميح أيضاً جزء من هذا المفهوم، إذ يغدو التلميح في بعض السياقات التواصلية أحسن وسيلة لغوية لأداء مقاصد المتكلم))[٨٠].

ومن هنا نجد أنّ ابن الرومي قد استعمل هذه الاستراتيجية في عتابه لصديقه أبي القاسم لكي يبلغ مقاصدهُ إليه في مخاطبته وعدم إحراجه.

١ – التشبيه:

استعمل ابن الرومي التشبيه في همزيته ليبلغ مقاصده الى صديقه أبي القاسم تلميحاً لا تصريحاً ومن ذلك قوله[٨١]:

أنت عيني، وليس من حقّ عيني غضّ أجفانها على الأقذاء

فقد شبّه الشاعر صديقه أبا القاسم بعينهِ، فجعلهُ عينه التي يرى بها، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه للمبالغة، وفي هذا التشبيه تلميح أراد أن يبلغ من خلاله مقصدهُ بعدم السكوت عن عيوب أبي القاسم وهناته مثلما أنه لا يستطيع أن يغمض عينه على ما يقع فيها من تراب أو غيره، وهكذا تحول الشاعر بالمعنى العادي الى معنى كثير الغرابة والجدة[٨٢].

وقوله[٨٣]:

ليس من حل بالمحل الذي أنـ ت بـه من سماحة أو وفاء
بـذل الوعـد لـلأخـلّاء سمحـا وأبـى بـعد ذاك بـذل الـغنـاء
فـغدا كـالـخـلاف يُـورق لـلعـيـ نِ ويـأبـى الإثـمـار كل الإبـاء

شبّه الشاعر الذي يعدُ ثم لا يفي، بشجرة الصفصاف التي تورق فتسرُّ العين من دون ثمر نافع. وفي هذا التشبيه تلميح أراد ابن الرومي من خلالهِ أن يبلغ صديقهُ أبا القاسم ما يقصدهُ ويعنيهِ وهو أنك تعد ولا تفي، وتلك صفة معيبة لا تليق بك[٨٤].

ومن تلميحات ابن الرومي التي أراد منها أن يبلغ صديقه أَبا القاسم رسالة تكشف له عيوبهُ وهناته قوله[٨٥]:

لك مكرٌ يدبُّ في القوم أخفى من دبيب الغذاء في الأعضاء

ففي هذا البيت تشبيه، إذ شبه تأثير مكر صديقه أبي القاسم في الناس كتأثير الطعام في الأجسام، بل هو أخفى من ذلك، فالمكر معنى في النفس لا ترى ملامحه او مادته ولذلك لمّح به الى مكر ابي القاسم الذي يدب دبيبا فحوّل الدبيب الذي هو فكرة في الذهن الى ملمح او مشهد حسي يقع امام الانظار[٨٦]، وهو من خلال هذا التشبيه أراد ان يكشف لأبي القاسم هذا العيب. ومن التشبيه الذي لمّح فيه ابن الرومي الى عيب من عيوب صديقه أبي القاسم قوله[٨٧]:

أَنت أدويت صدرَ خِلّك فاعذر هُ على النّفث إنه كالدواء

إذ شبّه البوح بِما في نفس خليلهِ الذي امتلأ صدرهُ غيظاً بسبب من أفعالهِ بالدواء الذي يعالج الداء، لأن البوح كثيراً ما يخفف عن صاحبه. وهذا تشبيه مستمدُ من خيال الشاعر الذي يوظّفهُ لما يريد العقل ان يبلغه من المعاني[٨٨].

وقد استعمل ابن الرومي التلميح بعد أن انتهى من العتاب بعد الافضاء بِما كان في نفسهِ وأخذ يرق ليخرج من العتاب الى اللّطف، فيقول[٨٩]:

ولكَ الودّ كالذي كان من خلـ لك والصدرُ غيرُ ذي الشّحناءِ
ولك العذر مثل قافيتي فيـ ك اتساعاً فإنّها كالفضاء

لقد شّبه ابن الرومي الودّ الذي يكنّهُ لصديقه أبي القاسم بالودّ الذي كان قبل أن يمتلئ قلبهُ غيظاً عليه بسبب من أفعالهِ، وقد منحهُ العذر فيما بدا منهُ من هنات، وقد شبّه هذا العذر بقصيدتهِ التي قالها فيهِ من حيث الاتساع إذ شبّهها بالفضاء. وهذا التشبيه الذي جاء في ثلاثة مواضع في هذين البيتين إنما هو تلميح يحمل رسالة أراد أن يبلّغها من خلالهِ ((وهي رغبتهُ في أن تعود العلاقة بينهما كما كانت صافية لا تشوبها شائبة من هنات وعيوب. فابن الرومي يخاطب صديقاً عزيزاً عليه يريد استبقاء مودتهِ فيجرحهُ بيد ويأسوهُ بأخرى، ويتلطف في اللوم والتقريع ويجرّعه مرارة العتب ممزوجة بعذوبة الإخاء))[٩٠].

٢ – الاستعارة:

قد يستعمل المرسل الاستعارة للتعبير عن مقاصده[٩١] ضمن استراتيجية التلميح، ولهذا استعمل ابن الرومي الاستعارة للتلميح لأمرٍ ما، ففي قوله[٩٢]:

كشفت منك حاجتي هنوات غطّيت برهة بحُسن اللّقاءِ

عبّر الشاعر بالاستعارة عن هنوات صديقه إذ شخّص حاجتهُ فجعلها انساناً عاقلاً يكتشف الهنوات المخبأة تحت البشاشة وحسن اللقاء وشبه الهنات بالاشخاص فيعقد معها محاورة[٩٣] وفي هذه الاستعارة تلميح الى عيوب الشاعر وهنواته التي كان يسترها أمام ابن الرومي، وقد جعلتهُ مخادعاً.

وفي قوله[٩٤]:

يا أبا القاسم الذي كنت أَرجو هُ لدهري قطعت متن الرجاء

استعارة أيضاً إذ جعل للرجاء متناً وقد قطعهُ بما اقترفهُ من عيوب كعدم الوفاء لصديقهِ في قضاء حاجته، فخيّب أملهُ فيهِ، وبذلك يكون قد لمّح لأبي القاسم بأنه ليس وفياً معهُ فلا أملَ فيه. وقد استعمل ابن الرومي هذه الاستعارة التلميحية لأنها أبلغ من

التصريح في إيصال المعنى وبلوغ الهدف، إذ إنّ من أهدافها إحداث تغيير في مواقف المتلقي الاجتماعية[٩٥]، وهذا ما كان يبغيه ابن الرومي، إذ كان يبغى إحداث تغيير في سلوك صديقه أبي القاسم.

وقد استعمل ابن الرومي الاستعارة في قوله[٩٦]:

واحتراس الدّهاة منك، وإعصا فك بالأقوياء والضّعفاءِ

اذ استعار لأفعال صديقه قوة العاصفة فهي تعصف بالقوي والضعيف فتجتاح كل شيء في طريقها. ومن خلال هذه الاستعارة لمّح ابن الرومي الى صديقه بصفة ليست حميدة عندهُ وهي صفة الهجوم العاصف الذي تتحاشاهُ الدهاة، فلفظة (عصف) ((تشخيص بدقة تلك الصورة المتحركة التي تشتمل على اللاعبين والرقعة جميعا عندما يفاجأ اللاعبون بحيلة تربص بها أبو القاسم، لتطيح باللاعبين كما تفعل الريح العاتية[٩٧]))

ومن الاستعارة أيضا، قوله[٩٨]:

تَقتُلُ الشّاه حيث شئت من الرقُ عة طبَاً بالقِتلة النّكراء

ففي قوله (تَقتُل الشّاه) استعارة شخصت قطعة الشطرنج، وجعلت لها حياة، وهي تقتل على يد أبي القاسم متى شاء، ومن خلال هذه الاستعارة لمّح الشاعر الى دهاء صديقه ومهارته في لعبة الشطرنج، اذ يمتلك الشاعر قدرة عالية في ابتكار المعاني والمبالغة والتدرج والسمو الى الذروة.

والاستعارة في مثل هذا السياق تؤدي وظيفة تهويل العيب أكثر مما يؤديه التصريح وقد يلجأ المتكلم الى الاستعارة في خطابه ضمن الاستراتيجية التلميحية (لأن الاستعارة تجعل الحكم الذي تثبتهُ قطعياً لدى المخاطب، فبفضل خاصية المطابقة يصبح المخاطب في وضع لايمكنهُ معه الشك في الحكم الذي تثبتهُ الاستعارة)[٩٩] وهكذا جعل ابن الرومي أحكامهُ على صديقه أبي القاسم أحكاماً ثابتة لايمكن الشك فيها من خلال الأسلوب الاستعاري الذي أحسن استعماله في همزيته.

رابعاً: الاستراتيجية الإقناعية

استعمل ابن الرومي الاستراتيجية الإقناعية في همزيته لغرض إقناع صديقه أبي القاسم التوزيّ بهناته وتقصيره معه بآليتي: الإقناع بالدليل والإقناع بالأنموذج. وتسهم هذه الاستراتيجية ((في رفع ذات المخاطب الى درجة عليا، ثم منحها قوة سلطوية بالخطاب {...} إذ يتبوأ المخاطب بخطابه مكانة عليا ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فحسب، ثم تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المخاطِب وراءه))[١٠٠]، لذلك قيل ان شعره هو ((شعرالبينات والبراهين والحجج والتفاصيل))[١٠١].

آلية الإقناع بالدليل:

ذكر ابن الرومي على لسانه هنات صديقه أبي القاسم بعد أن عقد حوارا معهن، أنهن قلن له[١٠٢]:

إن بحث الطبيب عن داء ذي الدا ءِ لأسّ الشّفاء قبل الشفاء

فهذا البيت يتضمن دليلاً منطقياً وهو أن تشخيص الداء أساس شفاء المريض، وهذا مافعله ابن الرومي حين كشف هنات أبي القاسم وشخصها، لأن كشف تلك الهنات وتشخيصها هو أساس إصلاح عيوب صديقه، وأنه محلّ ثقة كما أن الطبيب الذي يشخص الداء يكون محل ثقة الناس. وجاء ابن الرومي بحجة الدليل مرة أخرى في قوله معاتباً صديقه أبا القاسم مشبهاً حاله بعد أن اعتمد عليه في قضاء حاجته كالذي غرّه السراب فظنه ماء[١٠٣]:

كالذي غرّه السراب بما خيـ يل حتى هراق مافي السقاء

فالدليل الذي ساقه ابن الرومي لغرض إقناع أبي القاسم هو خداع السراب الذي يظنه الرائي ماء وهو ليس بماء، فابن الرومي كان يعتقد أن أبا القاسم سيقضي له حاجته ظناً منه بالوفاء حتى أنه أراق ماء وجهه في الطلب منه، لكنه فوجيء بأنه كان كمن يظن السراب ماء فلا يدركه. وبذلك أصبح أبو القاسم ليس محلّ ثقة عند ابن الرومي كما أن السراب ليس محلّ ثقة لمن يريد الماء.

ومن الأدلة المنطقية التي أوردها ابن الرومي ليثبت من خلالها مكانة أبي القاسم عنده قوله في معرض التأنيب والتوبيخ[١٠٤]:

أنت عيني وليس من حق عيني غضُّ أجفانها على الأقذاء

فبعد أن جعل ابن الرومي صديقه أبا القاسم عينه التي يرى بها ويحافظ عليها صار من حقه لا يغمضها على مايقع فيها من تراب أو غبار إلا بعد أن يزيل عنها ذلك التراب أو الغبار، وهذا دليل منطقي لايمكن إنكاره أو تجاهله، وقد ساقه ابن الرومي ليقنع أبا القاسم بما فيه من عيوب لا يمكن السكوت عنها لمنزلته ومكانته عنده، فلا بد من كشفها وإقناعه بتجاوزها وتغيير سلوكه.

آلية الإقناع بالأنموذج:

لقد وظف ابن الرومي الأنموذج في همزيته لغرض إقناع أبي القاسم بما يراه صواباً بغية إحداث تغيير في سلوكه ومواقفه. فلذلك وصف نفسه بوصف يجعله انموذجاً يحتذى به في قوله(١٠٥):

تركتني ولم أكن سيء الظن ن أسيئ الظنون بالأصدقاء

ليثبت لأبي القاسم أنه لا يسيء الظن به وإن ما ذكره من عيوب وهنات هي حقيقة في سلوكه وليس ادعاء لأن ابن الرومي لم يكن سيء الظن في يوم من الأيام، ومن لم يكن سيء الظن لا يقول بهتانا وكذبا.

ومثل ذلك في قوله(١٠٦):

قلت: تالله ليس مثلي من ود دَ ضلالاً وحيرة باهتداء

ففي هذا البيت يقسم ابن الرومي لدفع صفة الضلال والحيرة عن نفسه وبذلك يكون انموذجا يحتذى في أقواله وأفعاله، وعلى صديقه أبي القاسم أن يقتنع بما يقوله ويذكره من عيوب وهنات لكي يجنح الى تغيير سلوكه ومواقفه معه.

ويدفع ابن الرومي الغرور عن نفسه فلا يجازي أبا القاسم غروراً كغرورهِ في قوله(١٠٧):

لا أجازيك من غرورك إيا ي غروراً وقيّت سوء الجزاء

وبذلك يضفي على نفسه صفة الأنموذج الذي يكون مثالاً يقتدى به، ومن تكون صفته كذلك يكون صادقاً في ما يراه بغية إقناع المخاطب أبي القاسم فيما ذكره من عدم الوفاء في قضاء حاجته التي طلب منه.

ثم يتحول ابن الرومي من الإقناع بالأنموذج عن نفسه الى الإقناع بالأنموذج عن أبي القاسم نفسه، فيقول(١٠٨):

يا أخي يا أخا الدماثة والرقـ ـة والظرف والحجا والدهاء

ففي هذا البيت جمع الشاعر نماذج عدة، اتصف بها أبو القاسم قبل أن يخل بما طلب منه، فهو الأنموذج في دماثة الخلق والرقة والظرف والعقل والدهاء. ومن يمتلك مثل هذه الصفات فلا غرو أنه أنموذج يضرب به المثل، وهو انسان مثالي كامل وكأنه أعدّ خصيصا للعلى والمحامد(١٠٩)، ولكن أبا القاسم على الرغم من أنه أنموذج في هذه الصفات قد ضرب صديقه ابن الرومي ضربة خفية عندما تخلف عن تلبية حاجته وقضائها، بغية إقناعه بهذا العيب الذي لا يليق به لغرض الانتباه اليه وتصحيحه.

وقوله أيضاً جاعلاً من صديقه أبي القاسم أنموذجا في لعبة الشطرنج، فيقول(١١٠):

ثاقب الرأي نافذ الفكر فيها غير ذي فترة ولا ابطاء

وفي هذا البيت جعل ابن الرومي أبا القاسم انموذجا في صواب الرأي ونفاذ الفكر في لعبة الشطرنج لا يفتر أو يتأخر في اللعب، ومن تكون هذه صفاته في هذه اللعبة وهو الأنموذج، عليه أن يتصف بذات الصفات ويكون انموذجا في تعامله مع صديقه ابن الرومي.

الخاتمة والنتائج:

نخلص من كل ما تقدم الى ما يأتي:

١. أنّ ابن الرومي كان على وعي بطرائق بناء خطابه الذي يعاتب فيه صديقه أبا القاسم (التوضيحية والتوجيهية والتلميحية والإقناعية) وهي ذات الطرائق التي اصطلح عليها في ادبيات الحداثة بالاستراتيجيات الخطابية، فقد استعمل الاستراتيجيات

الخطابية جميعها بغية تشكيل خطاب يستوفي العتب والتأنيب والتقريع والتوبيخ والتلطف والمدح، بغية إقناع أبي القاسم بعيوبه وتقصيره بحقه أملاً في احداث تغيير في سلوكه وموقفه الفكري والعاطفي.

٢. هذه الاستراتيجيات الخطابية مكنت ابن الرومي ان يبوح بما في نفسه تجاه صديقه ابي القاسم بصراحة تامة دون وجل او خجل.

٣. بتظافر هذه الاستراتيجيات الخطابية شكّل ابن الرومي وحدة فنية لقصيدته، فجاءت ابياتها متناسقة، بحيث يفضي البيت الاول الى الثاني، والمقطع الاول الى الثاني، وهكذا بتتابع منطقي يمثل سمة فنية طابعها الوحدة.

٤. كانت هذه الاستراتيجيات الخطابية عاملاً رئيساً في توليد المعاني وايراد الاقيسة والحجج والادلة على ما ذكره من عيوب وهنات لصديقه أبي القاسم.

٥. كان وراء تحقق هذه الاستراتيجيات الخطابية في همزية ابن الرومي عوامل نفسية واجتماعية وثقافية، الأمر الذي جعل القصيدة تدور في فلك استراتيجي خاص بها.

الـهـوامـش

١ – ينظر: مقاييس اللغة: مادة (خطب).

٢ – لسان العرب: مادة (خطب).

٣ – ينظر: أساس البلاغة: ١ / ٢٣٨.

٤ – ينظر: العين: مادة (خطب).

٥ – سورة الفرقان: اية ٣٦.

٦ – ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٦.

٧ – م. ن: ٣٦.

٨ – خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ١٩.

٩ – ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٣٨ – ٣٩

١٠ – تحليل الخطاب الروائي: ١٧.

١١ – لغة الخطاب السياسي: ٣٤.

١٢ – ينظر: الذاتية في اللغة: ٦٢

١٣ – خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٠.

١٤ – استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ١٥ – ١٦.

١٥ – م. ن: ٣٧.

١٦– ما الخطاب وكيف نحلله: ١٤.

١٧– استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٩.

١٨– ينظر: م. ن: ٣٩.

١٩ – نسيج النص: ١٢

٢٠– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٣.

٢١– تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القاسم للرافعي: ١٤.

٢٢– استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٦.

٢٣– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٥٧ – ٢٠٨ وتداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١٤١.

٢٤– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٧٠ – ٣٧٤، في وحي القلم للرافعي: ١٤٦.

٢٥– تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١٤٧.

٢٦– ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٣٢٨ – ٣٣٠، وتداولية الخطاب السردي دراسة في وحي القلم للرافعي: ١٥١.

٢٧– ينظر: تداولية الخطاب السردي دراسة في وحي القلم للرافعي: ١٤٧.

٢٨– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٤٦١، وتداولية الخطاب السردي دراسة في وحي القلم للرافعي: ١٤٦.

٢٩– البلاغة والاسلوبية: ٦٤.

٣٠– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٦١.

٣١– ينظر: ابن الرومي شاعر الغربة النفسية: ٩٠.

٣٢– ينظر: مدونات ابن الرومي وشعره: ١٠.

٣٣– ينظر: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم: ١٤١.

٣٤– الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية: ٥٤٣.

٣٥– ديوان ابن الرومي: ١ / ٦٤.

٣٦– التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٣٤٢.

٣٧– ينظر: تداولية الخطاب السردي: ١٤٢.

٣٨– ينظر: الموسوعة الادبية الميسرة: ١٠٦.

٣٩– ديوانه: ١ / ٦٤.

٤٠ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٣٣.

٤١ – ديوانه: ١ / ٦٤ و ٦٥.

٤٢ – ينظر: الموسوعة الادبية الميسرة: ١٠٧.

٤٣ – ينظر: مدونات ابن الرومي وشعره: ١٠.

٤٤– التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٣٢٣.

٤٥ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٣٤ – ٢٣٥.

٤٦ – ديوانه: ١ / ٦٥.

٤٧ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٣٢٣ – ٣٢٦.

٤٨– ينظر: ديوانه: ١ / ٦٥.

٤٩– ينظر: مدونات ابن الرومي وشعره: ١٢

٥٠– مدونات ابن الرومي وشعره: ١٢ – ١٣.

٥١ و ٥٢ ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية وتداولية: ٢٦١.

٥٣– ديوانه: ١ / ,٦٦

٥٤– ينظر: تداولية الخطاب السردي: ١٤٦.

٥٥– ينظر مدونات ابن الرومي وشعره: ١٥.

٥٦– الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية: ٥٤٩.

٥٧ – استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي: ٧٩.

٥٨ – ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٧٧.

٥٩ – ينظر: ديوانه: ١ /٦٨.

٦٠ – ينظر: مدونات ابن الرومي وشعره: ١٢.

٦١ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٣٧.

٦٢– ديوانه: ١/ ٧٠.

٦٣– تداولية الخطاب السردي، دراسة في وحي القلم للرافعي: ١٥٤.

٦٤ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٧٦.

٦٥ و٦٦ و ٦٧و ٦٨ ديوانه: ١ / ٧٣ و ٦٦ و ٦٩.

٦٩– ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي: ١٢١.

٧٠ و٧١ و ٧٢ و٧٣ و٧٤ ديوانه: ١ / ٦٥ و ٦٦ و ٧٠ و ٧٢ و ٦٤,

٧٥– التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٣٢٤.

٧٦ و٧٧ ديوانه: ١ / ٦٥ و ٧٠.

٧٨– ينظر: استراتيجيات الخطابة النبوية ٥٥١: وتداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم: ١٤٦.

٧٩– ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٤٠٩ – ٤١٣.

٨٠– تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم: ١٤٧.

٨١– ديوانه: ١ /٦٦.

٨٢– ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٣٩.

٨٣– ديوانه: ١ / ٦٦.

٨٤– ينظر: مدونات ابن الرومي وشعره ١٣.

٨٥– ديوانه: ١ / ٦٧.

٨٦– ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٥٩.

٨٧– ديوانه: ١ /٧١.

٨٨– ينظر: ابن الرومي شاعر الغربة النفسية: ٨٥.

٨٩– ديوانه: ١ / ٧٢.

٩٠– ابن الرومي: ٦٨.

٩١– ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤١١.

٩٢– ديوانه: ١ / ٦٤.

٩٣– ينظر: ابن الرومي: ٥٣.

٩٤– ديوانه ١ / ٦٥.

٩٥– ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي: ١٥٧ – ١٥٨.

٩٦ – ديوانه: ١ /٦٧.

٩٧ – ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره:٢٥٠.

٩٨– ديوانه: ١ / ٦٧.

٩٩– استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي: ١٥٩.

١٠٠– ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٧١.

١٠١– التداولية والشعر، قراءة في شعر المديح في العصر العباسي: ١٦٩.

١٠٢ و١٠٣و ١٠٤و١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ ديوانه: ١ / ٦٥ و ٦٦ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٦

١٠٩– ينظر: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٢٤١.

١١٠– ديوانه: ١ / ٦٦.

المصادر والمراجع

١. ابن الرومي شاعر الغربة النفسية، د. فوزي عطوي، دار الفكر العربي، بيروت.

٢. ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، ايليا سليم الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩.

٣. أساس البلاغة، الزمخشري، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥.

٤. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية مج (٨)، ع ١٥ / ٢، المغرب ٢٠١٤.

٥. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسيمة كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٢.

٦. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٧. البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، تر: محمد العمري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩.

٨. تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٩.

٩. تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٢.

١٠. التداولية والشعر، قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، د. عبدالله بيرم، دار مجدي لاوتي، عمان ٢٠١٤ م.

١١. التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري د. ثائر سمير الشمري، دار صفاء، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط١، ٢٠١٢.

١٢. خطاب الاخر في الشعر العراقي السبعيني، د.علي هاشم طلاب، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

١٣. ديوان ابن الرومي، تح د. حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣ القاهرة ٢٠٠٣.

١٤. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ط٢.

١٥. الذاتية في اللغة، بنفينيست، ترجمة حميد سمير وعمر حلي، مجلة نوافذ، ع٩، ١٩٩٩.

١٦. لغة الخطاب السياسي، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

١٧. ما الخطاب وكيف نحلله، د. عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

١٨. مدونات ابن الرومي وشعره، طه حسين، شبكة المعلومات.

١٩. مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٢٠. مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،١٩٩١.

٢١. الموسوعة الادبية الميسرة، خليل شرف الدين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ،٢٠٠٤ م.

٢٢. نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٣.

٢٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤.